وظائف الصورة في شعر ملك عبد العزيز ...

نورهان أحمد حسن محمد

الملخص:

تقوم الصورة على مستويات عناصر الإبداع، و هي المبدع قائل النص، و مبدعه يحمل فيه رؤيته لعالمه، وهي رؤية تشمل كل ما يحيطه (ذاتيته، أسرته، عمله، إحتكاكه بغيره، رؤيته لوطنه و إحساسه به) ...كل هذا يقدمه في نصه عاكساً رؤية محددة معيشة، والمتلقي قارئ النص بقصد الاستمتاع به وتحمل رؤاه والتأثر برؤية المبدع، والعنصر الثالث من هذه العناصر وهو النص، وما يقدمه من وظائف على مستوى بناء النص و تشكيله على مستويي الفكر و اللغة، و كذلك السياق المحيط و كيف يحاول المبدع أن يقدم رؤيته عن السياق المعيشي و كيف يتأثر المتلقي بذلك .

و قد ذكر النقاد وظائف تخص كل عنصر من هذه العناصر، فالمبدع تخدمه وظائف الإبداع ونقل الأحاسيس و التعبير أي الوظيفة التعبيرية، والمتلقي تخدمه وظائف التأثير، و النص تخدمه وظائف الشعرية و الجمالية، و السياق تخدمه وظيفة الرؤية ...و كل هذه الوظائف تتحملها الصورة و تقوم بها على مستوى النص الشعري .

ويتخصص هذا البحث في دراسة وظيفة الصورة عند ملك عبد العزيز لبيان أثر الصورة ووظيفتها عند ملك عبدالعزيز

Search summary:

The image is based on the levels of the elements of creativity, and it is the creator who says the text, and the creator who carries his vision of his world, a vision that includes everything that surrounds him (his self, his family, his work, his contact with others, his vision of his homeland

and his sense of it) ... all of this is presented by him. In its text, it reflects a specific vision of life, and the recipient reads the text with the intention of enjoying it, bearing his visions, and being affected by the vision of the creator. How does the creator try to present his vision of the living context and how the recipient is affected by that The critics have mentioned functions related to each of these elements. The creator is served by the functions of creativity and conveying feelings and expression, i.e. the expressive function, and the recipient is served by the functions of influence, the text is served by poetic and aesthetic functions, and the context is served by the function of vision...and all of these The functions are borne by the image and performed at the level of the poetic text This research specializes in studying the function of the image at King Abdul-Aziz to show the effect of the image and its function with King Abdul-Ziz

أولاً: وظيفة التعبيرية:

فالوظيفة التعبيرية تعبر عن دور المبدع "موقف المتكلم تجاه ما يتحدث عنه" وعن عواطفه ومواقفه إذاء الموضوع الذي يعبر عنه.

ففي قصيدة " أحن إلى الحياة" تتحدث الشاعرة في بداية حياتها عام ١٩٣٩ م عن تطلعها إلى الحياة الجديدة رغم ماتعانيه من الصعاب والمشاكل الكثيرة التي تعانيها بعد موت والدها ووالدتها، وأصبحت وحيدة طالبة في جامعة القاهرة في كلية الآداب قسم اللغة العربية حيث تقول:[١]-

أحن إلى الحياة و أشتهيها برغم النازلات و أجتليها
وأطلب قطف أزهار رعتها ولو أن الحمام يكون فيها
خيال لم يزل في الفكر غضاً من العهد الذي ما كنت فيها
يؤانسني و يخلق فيا روحاً من الأمل الجميل فأحتويها
ولكن.. كلما رفعت قناعاً وكشفت المحجب من بنيها
أخافتني، وصبت فيا رعباً فيخذلني الثبات و أزدريها
وتصدمني صخور ناتئات من اليأس المميت فأجتويها

إذ تشير الشاعرة إلى رغبتها في الحياة الجديدة مع ما تتعرض له من النازلات، و من هنا لجأت إلى استخدام الصورة وذلك في (قطف أزهار رمتها رغم الموت)، حيث استخدمت أسلوب الإستعارة في هذا القول، حيث حذفت المشبه به و هو الأشياء الجميلة في حياتها، وأبقت المشبه به وهو الأزهار، وذكرت الموت لكثرة وجوده في حياتها في هذا الوقت الذي يجب أن يكون ريعان شبابها؛ ولكنه مليئ بالمأساة، وشبهت ما تركته حياتها الأولى من ذكريات لا تزال كالنبات الأخضر عالقة في ذهنها، وصورت في قولها "يؤانسني" الصور القديمة من الماضي كأنها إنسان يؤنس وحدتها ويخلق لها أملاً جديداً، وصورت الخيالات والصور الجميلة من حياتها الماضية كشخص أو شيء هي تحتويه وتضمه وهذه إستعارة بيّنة، ولكن هذه الذكريات كلما فكرَّت فيها كثيراً وكشفت منها ما كان مجهولاً كالقناع أصابتها بالرعب والخوف من هذه الذكريات التي تبدو في الماضي بالذكريات الجميلة السعيدة، ولكنها مرعبة في الحاضر .. وهي هنا تُشَّخِص الذكريات في كلمة "أخافتني"، وهذه الصور الخيالية تؤدي وظيفة التعبير عمَّا مرت به في الماضي ومن ذكريات وأثره في نفسها وحياتها المحاضرة.

****

وتعيدنا هذه القصيدة إلى قصيدة أخرى ذكرتها في ١٩٣٨م بعنوان "يتيمة"..ففي هذه القصيدة تفسر فيها "النازلات " التي مرت بها؛ غير أنها تتحدث عن نفسها بلسان الغائب حيث تقول [٢]:-

خطف الموت أمها و أباها آه للموت يابني آها

غيب النيرين عن ناظريها فتولي من الحياة سناها

فسرت في دجي المصائب لما ري متي الضحي أو متي مرساها

و تمنت لقيا الأحبة يوما رب يوم تبثهم شكواها

خلفاها علي ضفاف حياة موجة الدهر قد تغطي ثراها

خلفاها وحيدة لا معين يسمع الصوت أو يلبي نداها

فغدت تسكب الدموع غزارا وغدت تسمع السماء بكاها

ودموع الأحزان تشعل نارا وصراخ الإعوال يلهب فاها

...

فهي شخصت الموت كأنه شخص يخطف أمها و أباها و يغيب النيرين، و هي هنا استخدمت الإستعارة في قولها النيرين و هما الشمس و القمر، ولكن المقصود بهما أباها و أمها...و صورت المصائب بالدجي أو بالطريق التي تسلكه بعد موت أمها و أبيها، فهي لا تدري ما سيحل بها بعدهما، أو متي ترسو سفينتها ..و هنا أخذت هذه الكلمة من القرآن الكريم في لفظ" مرساها"، كأنها تصور نفسها بسفينة تسير في البحر لا تدري في أي مكان ترسو.

و قد استخدمت التشبيه في لفظ"ضفاف الحياة"، و أيضا " موجة الدهر " حيث صورت الحياة بأن لها ضفاف،و أن الدهر كالموج المائج في البحر، و قد كررت لفظ "خلفاها" و ذلك دليل علي وحدتها من بعد موتهم و تركهم لها دون معين و مساعد، و في كل هذه الصور تصور جزءا من حياتها تعبر عنه بهذه المرارة قبل أن تلتقي بزوجها الدكتور محمد مندور.

****

و قد صورت في هذه القصيده و عبرت عن حالتها في صورة يراها الناس تبكي و تسكب الدموع و تشكو!، لله ما تمر به، و غارت عيناها، و انطفأ خداها، وأصبحت هائمة ساهمة لم يجدي عزاؤها حيث تقول [٣]:

فغدت تسكب الدموع غزارا وغدت تسمع السماء بكاها

ودموع الأحزان تشعل نارا وصراخ الإعوال يلهب فاها

.....

غارت العينان و انطفا الخد و عادت ضحكاتها شفتاها

و غدا الطرف حائرا ليس أين تلقي الصدي و أين يراها

ذاهلا ساهما يفتش عما يمنح النفس سعدها أو عزاءها

أين منها العزاء و الهم يرعي قلبها الغض؟ أين منها دواها

...

في هذه الأبيات صورت لنا الشاعرة مظاهر حزنها في دموعها و أحزانها و شرودها و انطفاءها في عدد من ال صور مثل (تسكب الدموع) حيث صورت الدموع كالماء الذي يسكب، وقولها : (و دموع الأحزان تشعل نارا) حيث صورت الدموع كالثقاب الذي يشعل النار، كذلك في قولها و (الإعوال) الذي يزيد من النار و لهيبها، و كذلك الضحكات التي تتحول أعداء للشفاه، و هذا التشخيص يوضح حزنها الشديد؛ فهي أصبحت غير قادرة علي الضحك، كما صورت العزاء و الهم بشخوص ترد إلي لقلبها الغض، و قد استخدمت كلمة الغض دليلا علي صغر سنها، وقد كررتها في قصيدة" أحن الي الحياه " ..و قد عبرت بهذه القصيدة و بهذه الصور عن جزء من حياتها و فكرها في مقتبل عمرها.

و كما عبرت الشاعرة عن حياتها الخاصة عبرت أيضا عن رؤيتها الصامتة للحياة .. إذ انها في قصيده"اخر و صواحبه" نداعب اخاها كما نزعم او انها توجه خطابا للشباب المستهترين الذين يدخلون في علاقات نسائيه غراميه متنوعه بدون هدف او وعي، فمثال علي ذلك السينما

و الفن في هذه الفتره و هذه فترة الحرب العالميه الثانيه و ما قبلها فقد تضاعفت الاعمال السينمائيه التي تصور الشباب المستهتره الذي وضع في يده المال و اصبح ينفقه علي صديقاته المتعددات فذلك الوقت هو وقت "احمد رمزي و عمر الشريف و صلا ذو الفقار و مميزهم من الشباب" و تصوير السينما لادوارهم يعود الي واقع معيش تعيشه الطيفه العليا من الشعب و ابناءها من الشباب المستهتر الذي جمع بين الشباب و المال و عدم العمل و حتي عدم انشغالهم بمل تمر به البلاد من حروب و امور كثيره.

حيث تقول في هذه القصيدة (٤)

إلام تهيم بحب الحسان و تقضي الليالي حليف السهر

أخاف عليك عباب الغرا م فموج الغرام عنيف خطر

و يدهشني منك قلب عجيب كثير التقلب لا يستقر

و ليس التقلب طبع الكرا م و وأنت كريم فماذا بدر؟ بدر؟

فحسناؤك اليوم حورية من البيض ناعمة كالزهر

و في الغد سوداء كالليل لا تميزها قبل وقت السحر

ويوما من الصفر قد مازجت ملاحتها بالحيا والخفر

******** ********

وإن لم يبن في المحيا الشحوب فتلمحه في انكسار النظر

ويوما ويوما ويوما ويوما وددت لو اني اعد السير!

و كل تحب الفراء الثمين نعيم الاهاب طويل الشعر

تنظفه دائما باعتناء وتلثمه كالمشوق الأثر !

و يا حسن أذيالها الفاخرات تجرجرها كالمليك الظفر

تهادي بها حين تأوي إليك تميس كغصن ندي الثمر

و تقفز مثل الغزال الطرو ب خلال الرياض و بين الشجر

و في هذه القصيدة تكشف الشاعرة تعبيرا عن رؤيتها للشباب في هذه الفقرة، و تخص الشبات المستهتر الذي توافرت لديه شروط الحياة الرغده، فهو شاب في مقتبل العمر،متعلم،غني،لا يعمل لذلك صرف همه الي محبة الفتيات، منفقا عليهم ثروته كالصورة التي نراها في أفلام الأربعينيات، و قد حاولت الشاعرة أن توجه له رسالة تصوره فيها بسخرية و تخاطبه، و نقول له أيها الشباب المستهتر: إلي اين تمضي بك محبتك للحسان الجميلات تقضي معهم النهار و الليل، أخاف عليك أيها المستهتر أن بحيث يسيطر الحب عليك،لكن لن يحدث هذا فأنت لك قلب عجيب يحب الجميع من الفتيات، و يتقلب بين حبهن ولا يفرق بين حسناء بيضاء أو سوداء فكلهن عنده سواء،لقد شغلنه عن نفسه فأصبح حائرا لا يدري إلي أيهما يميل و إلى أيهما يميل يبتعد، لقد أحبهن جميعا كما يحب البخيل أنواع المجوهرات و يبخل بهن علي أهله.

و في هذا المقطع صورت الشاعره قلبه بالشخص المتقلب الذي لا يؤتمن، و صورت الجميلات كالحوريات و الزهر علي سبيل التشبيه، كما صورت السوداوات بالليل البهيم، كما صورته بالبخيل في حبه ....و كل ذلك علي سبيل التشبيه، و في هذه الابيات عبرت عن رؤيتها لشباب عصرها،و الدليل علي هذه الرؤيه أنها تزوجت رجلا ناضجا في سن الاربعينيات و هو"محمد مندور "...

و في قصيدتها "الاشباح" توجه ذهنها الي المستمع"المتلقي" و هو ينظر في حياته و حوله و يتأمل واقعه؛ فيري الحقائق كما لو كانت ظلالا في العيون أ و اشباحا كونها عقله الفاسد و كونتها أهواؤه أو أوهامه وأاشباحا كونها ذهنه، وكل هذا بعيد عن الحقيقة الماثلة و التي يفرضها واقعه و حياته و نطالبه في الاستقلال و العيش الكريم، و كأنها تهيب بالمستمع ان يبتعد عن الأهواء و الخيالات و الظنون، و أن يتامل واقعه بعقلانية و لذلك اخذت تجسد كلمة اشباح و تجعل من الهوي بانيا لها علي شكل استعارة و كذلك في قوله (٥)ا:

يا ويلنا إن لم يكن ما نرى

إلا ظلالا في مآقينا

وغير أشباح بناها الهوى

والوهم في دياجينا

إن لم يكن في الأرض أو في السما

من هيكل يؤوي أغانينا

أواه لو نبصرها مرة

ولو ثوت في غير وادينا

حقيقة تمشي على أرضنا

نلمسها بعمق أيدينا

تجسد الوهم الذي طالما

في نسجه ضاعت لياليا

حيث تصور الوهم بشخص يعيش و يتأمل في كهف من الظلام، بل تجسد الأغاني في شكل شخوص تأوي إليها هياكل الأحلام كما تجسد الحقيقة في أشكال تمشي علي الأرض أو حيوانات تمشي علي الأرض، كما تشبه الأيام و الليالي بشخوص تتوه في نسيج الوهم ...و هي استعارت و تشخيصات و تجسيدات توجه السامع إلي البحث عن الحقيقة و تلمسها بعيدا عن الأشباح و الأوهام ..و أن ما نراه و ما نفسره علي غير حقيقته إنما هو خيالات و أشباح تعيش في واقعنا، و القصيده توجيه للمتلقي بأن يبحث عن الحقائق، و ليس عن الأوهام التي تشبه الأشباح ..

التعبيرية الذاتية:

وفي قصيدة "لا تلمني" تتحدث الشاعرة عن تجربتها الذاتية، وتجسد هذه التجربة الذاتية في علاقة حب بينها و بين النجم إذ تقول ([٦]):

لا تلمني إن عشقت النجم فالنجم حبيبي

صب في قلبي قطره !

لونها ؟ .. ما لونها !

مهرجان الطيف ألوان السحر !

هل رأيت القوس في الأفق على صدر الغمام

....

فالنجم هو "حبيبها" وهو بعيد و قصيّ لكنها ملكته بقلبها ونجواها وحنينها وشوقها بل خبأته في دمها، و هنا يتحول الحبيب النجم إلى شخصية بعيدة عن الشاعرة تناجيه تنتقل إليه في لحظات الحب والشوق، وهنا يقربنا هذا الوصف إلى محبوب لديها غائب عنها، يجمع بين صفات العلو والسمو لكي يشير في النهاية إلى زوجها الغائب أو أملها المنشود في الحياة والتي تحاول تحقيقه وتراه نوراً في كفها وتراه شعراً ومعاني تبثُّها ..فالحبيب هنا إما زوجها وما يمثله لها من قيم وإما أملها المنشود في الحياة وهو ماتعبر عنه في شعرها من أفكار وآراء تسعي لتحقيقها و تناديها وتعبر عنها بل هي فيض منها.

حيث تقول ([٧]) :

لا تلمني إن عشقت النجم والنجم بعيد وقصي

فحبيبي النجم إني قد ملكته

بعطاء القلب بالنجوى ملكته !

في حنين القلب في توق عيوني

في نزوعي في اشتياقي

في دمي إني خبأته !

ربما يوما على أسباب شوقي

وابتهالاتي وحبي

شالني الحب إليه

فلمسته

فلمسته ...

ربما يوما لمسته !

وقبست النور من عينه، يوما

قد قبسته

ورأيت النور في كفي رواء وعطاء

ربما يوما رأيته

وعلى الأرض نثرته

فربما الحب ..وفي كل طريق قد رأيته:

فيض حبيبي,,,

لا تلمني إن عشقته !

إن ما تعبر عنه الشاعرة هو تجربة ذاتية أو تجربة إنسانية تعيشها وتحاول أن تبثها في شعرها،وهو ما يمثل وجهة نظر الأديب في الحياة، وفي تعبيره عمَّا يحبه ويراه، وهذا ماتؤديه الوظيفة التعبيرية في التعبير عن رؤية المبدع لحياته التي يعيشها و إخراجها في رموز تشير إلى هذا الواقع بشكل مجسَّد .. فالنجم الموسوم بصفات العلو والطهر إنما يشير إلى هاتين الدلالتين

أما الدلالة الشخصية التي لها أثر كبير في انتشالها من الضياع، أو تشير إلى نظرتها الذاتية للعالم والناس و الحياة التي تراها بعيدة عن التحقيق، قصيَّة عن الإمكان؛ غير أنها قريبة إلى فكرها وقلبها، قد تشّربت في حياتها وكينونتها الذاتية فهي شخصية زوجها ...

وقد كتبت ديوان" بحر الصمت" و منه هذه القصيدة بين عاميّ ١٩٦٤م-١٩٦٦م وقد توفيَّ زوج الشاعرة الناقد محمد مندور عام ١٩٦٥م ويمكن أن تشير هذه القصيدة إلى تأثرها بوفاته.

ومن بين القصائد التي تصور الحالة التعبيرية عن ذاتها قصيدة "القلب الباكي"[٨] حيث تقول:

لم تبكي ياقلب؟ ...خفف ليس يجدي الأسى فيمحو
جمدت مقلتي وعزّت عليها قطرات تبقى عليك دماءك
فإذا ذوّبك المحبب دمع يحرق الصدر لا يرد شفاءك
وإذا الفك المفضل جمر وإذا بالبكاء أضحى غذاءك
فقف ترّفق عسى النجوم توافي فتنير الدجى وتجلي سماءك

في هذه القطعة تتحدث الشاعرة عن معاناة قلبية كانت نتاجا لتجربتها الإنسانية وهي طالبة في كلية الآداب وفي بدايتها الشعرية التي قلّدت فيها المدرسة الرومانسة وهي مدرسة أبولو .

إذ تناجي قلبها وهو في غاية الحزن والأسى والشقاء , وتفهمه أن اللبكاء لا يجدي مع الأسى ولا يمحو الشقاء , وترجع الشاعرة شقاءها ‘لى أثر المحب فيها وأنه قد ذوبها وأحرق قلبها

وكان كالجمر على سبيل التشبيه بل إن الشاعرة ترى أن أملها الوحيد هو عودة المحب الذي يمثل النجوم التي تنير طريقها على سبيل الإستعارة.

إن الشاعرة وإن كانت تعبر عن مشكلة ذاتية وهي فقد المحب إلا أنها تعبر عن ما أصابها من الحزن والألم والأسى في فقد هذا المحبوب الذي ذوّب قلبها وأكثر دمعها وأحرق قلبها .

إن الشاعرة تعبر عن تجربة ذاتية مؤلمة تعيشها في بداية حياتها وهذا مانسميه التعبيرية الذاتية .

وفي هذه القصيدة أيضا تتحدث عن أثر الشك و الشائعات على المحب في هجر حبيبه وهي تجربة إنسانية أيضا حيث تقول:

إيه تبغي قتل العواطف في كيما تنال فيه رجاءك؟
إن في قتلها فناء لروحي إن قلبي لفي بقاها بقاءك
أهي ميت مادمت ترجو وترجو وتروم السما وتبغي علاءك؟
كيف ياقلب خوّفوك فأصغيت فقدّوا من الوجود صفاءك؟
زرعوا الشك في رياضك شوكا واستباحوا من الزهور هناءك
فإذا أنت في ضلال بعيد وإذا أنت قد هجرت عزاءك

وفي هذه القطعة تناجي الشاعرة قلبها مرى ثانية وقد تغير من الحب إلى الكره والبغض والشك في المحبوب ومن هنا فقد بعد عن حبيبها وقتل الحب في نفسها وأصبح ميتا متكبرا خائفا مكدرا .

لقد تمكن منه الواشون والمغرضون فزرعوا الشك في نفسها وجعلوا قلبها فس\ي ضلال بعيد وهجر دائم.

إن هذه التجربة الإنسانية التعبيرية أظرتها الشاعرة في عدد من الصور والأخيلة فقد عبرت عن انتهاء العواطف بقتل العواطف على سبيل الإستعارة المكنية التجسيدية , وكذلك في قولها "فناء الروح" وهي استعارة مكنية تجسيدية أيضا , وتصوير القلب كأنه ميت على سبيل التشبيه و وكذلك في تصوير الشك كأنه شيء يزرع على سبيل الإستعارة المكنية , وكذلك في تصوير العزاء بإنه مكان مهجور على سبيل الاستعارة المكنية التجسيدية .

إن هذه التجربة التي تعبر عنها الشاعرة هي تجربة إنسانية وهي التجربة العاطفية , والقصدة هذه تعبير ذاتي عن هذه التجربة التي عاشتها الشاعرة.

***

٢ –الوظيفة التأثيرية في خطاب المتلقي:

وفي قصيدتها "قال المساء" ترمز بالمساء إلى عالم الأجداد والحكمة والمستقبل وختام اليوم، ويرمز المخاطب إلى الشباب المشار إليه بحرف الكاف في كلمة "رأسك – عينك– كفاك–صدرك – دماك"، ويُفهَم من القطعة أن المساء هو الحكيم أو التاريخ الذي يخاطب الأمة، وهي المخاطب: ما الذي قمتي به أيتها الأمة في عالم اليوم، لقد تكاسلتي عن صنع المستقبل في حين نشط الآخرون، لقد اسندتي رأسك الثقيل إلى الجدار وعينك الوسنى التي تريد النوم عُميت في مشاعل النهار، وكفَّاك القويتان احتضنت طفلك العليل، والحزن كبَّلكِ وتجاوبت معه ..

إنَّ هذه الصورة هي خطاب للمتلقي العاجز عن خدمة وطنه، وكل هذه الصور التي قالتها إنما تعبر عن عجزه وفقدان الأمل كما قالت (٩):–

قال المساء: مالذي صنعت في نهارك الطويل ؟ .

أسندت رأسك الثقيل للجدار ..

وغيمت في عينك الوسنى مشاعل النهار

و ربطت الشاعره بين العين و الوصف "شدة النوم اخفاءة النوم"

وقالت:

الحزن..القي رأسه بصدرك الهزيل!

أرضعته ...

أرضعته داك وهو لم يزل عليل

وكيف يربو وهو نبتة الظلال !

و في هذه الصور التي مرت نجد أن الشاعره تندد بالشباب المكبل الذي لا يستطيع صنع المستقبل، و توجه اليه رسالة، فعليه أن يفوق من وسنه، و عليه أن يخرج عن حزنه فيحقق ما يتمناه ...

و في القطعه الثانيه عتاب لأبناء المستقبل أو ما قبل المستقبل بأنهم تكاسلوا في قولها(١٠):

أسندت رأسك الثقيل للجدار

وألف خيط من عناكب الخيال

نسجت منها غابة الفرار

أخفيت فيها رعبك المرير

وضعفك الكليل عن تملك النهار

فهي صورة كناية عن الجمود، و عدم الحركة و كذلك أيضا نسجت منها غابة، فشبهت المشاكل التي نصطنعها كأنها غابة من خيوط العناكب، لقد عللت نفسك بالقيود، و صورت الشاعرة المشاكل بأنها"جب" ماله قرار مليئ بالأ شباح و الثعابين، و كل أمل ظهر كالحية الملتوية التي تلف جسدها حولك و كأ | نها ظلال تمنعك من المضي قدما في قولها (١١):

أسندت رأسك الثقيل للجدار

وأعرضت عيناك عن مشاعل الطريق

وحدقت في الجب .. ما له قرار ..

أغواره مليئة ألف قيد من حديد

سلاسل .. غرائب الحبال

وألف مدور تلوى كالصلال

يلف جسمك النحيل كالظلال

وعندما هممت أن تسير

قد قيدت خطواتك الأوهام والأشباح

في جبك العميق

ورجفة الخوف وخشية العثار

لم تعترض ...

إن هذه القصيدة في أبياتها الأولي إنما هي خطاب للمتلقي أن يخرج من نومه من عقده حتي ينتبع و يخدم مستقبله ..

و في قصيدتها"الي رائد الفضاء يوري جاجارين" تخاطب يوري في نفسها في الناس فتريد ان تصل الي ما وصل اليه يوري فهو يسبح فالفضاء و يتجرد من الجاذبيه و من وزنه و مايو جد علي الارض و هي تريد ان تتجرد من الاعباء و المشاكل و الهموم و الخوف و تصبح حره و تدعو الناس الي ذلك ايضا ان يتمرروا من مشاكلهم و همومهم حتي يستطيعوا ان يعيشوا بشكل افضل و ان تسود المحبه و يسود صفاء القلب و ذلك يجعل الانسان اخف في حياته و تحقيقه لذاته و هناك صورا تدعوا الي ذلك في قولها(١٢):

ضاع ثقله و غاب

و هي صوره تتحدث عن تخلصه من الجاذبيه الارضيه و في صوره:

لكم و ودت ان اذوب في طلاقه الاسير

و يعني تصوير الجاذبيه الارضيه بالضياع او بالذوبان و في قولها

ايضا للنامي:

ان يصبح الاشان سيد المصير

و ينتش بلا خوف بلا هموم

اثقاله مطروحه كحفنة الهشيم

و فيها تصوير بان الهموم و الخوف و الاحزان انما هي اثقال علي سبيل الاستعاره التصريحيه و هذه الاثقال تصبح مشبها لمشبه به و هو حفنة الهشيم علي سبيل التشبيه و الاستعاره و التشبيه تقصد التحول و التغير و التبدل الي عالم مثالي يعطي الانسان فرصة ان يكون سيدا في حياته،حرا طليقا فهل حان عصر الحب كما تقول لرائد الفضاء

وفي قصيدة أخرى رثت فيها الشاعر الباكستاني الراحل "فيض أحمد فيض" وهو شاعر و مؤلف باكستاني ولد في البنجاب بالهند بتاريخ ١٣ فبراير ١٩١١ وتوفي بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٨٤, وقد واصل دراسته في الكلية الحكومية "واورينتل كوليج " , وهو أحد أشهر كتاب اللغة الأردية فقد رشح لجائزة نوبل في الأدب , و فاز بجائزة لينين للسلام[١٣].

تخاطب فيها المتلقي وتشيد بهذا الشاعر العالمي حيث تقول([١٤]):

صديقي العزيز

وهل تسمع الآن حزني

وديعا نقيا كنوح اليمام؟

يرّبت خديّك

يلمس سرّك

ينهل شعرك

يذوب مع الليل

يسري مع الموج

يشعله الوجد والإنتظار ؟

واومن أنك- ياصافي القلب

في هذه السطور الشعرية ترثي الشاعرة الشاعر الكبير الراحل "فيض أحمد فيض " فترى فيه الصديق العزيز و تشعر بحزنها عليه ثم نمدحه بصفاته الطيبة التي عرفتها فيه ويبدو أنها ألتقت به في إحدى المؤتمرات وتعرفت عليه ومن هنا فهي تشير إلى صفاته الطيبة وشعره الجميل الذي ينتشر في كل شيء مليئا بالمحبة كما تصفه بإنه صافي القلب وأن ما بينها وبينه من بعد المسافات والديار والأوطان فإنها تحس به قريبا يطل عليها مع عوالم الطبيعة المختلفة , فهو يظهر فالأنجم الساهرات وفي النسيم وفي الغيوم وفي النيران و الأضواء هو في كل مكان قريبا منها.

إن الشاعرة قد أجادت وصف الميت كما يرى معّرفوا الرثاء في النقد العربي , غير أنها أخرجنه بشكل تصويري جيد ومن وجهة المتلقي فهي تشير إلى تصوير شعر الشاعر بنوح اليمام على سبيل التشبيه , وكذلك في تصوير شعره بالشعلة التي تشعل الوجد والإنتظار على سبيل الإستعارة المكنية، كما أنها تصوره بالضوء الذي يأتي مع النجوم ومع كل مافي الكون على سبيل الإستعارة .

إن الشاعرة توجه إهتمام العالم إلى أهمية هذا الشاعر الجميل وأثره في قضايا الحرية والعدل ومناصرة البائسين وذلك في قولها(١٥):

وكم كان صوتك

في قوة السيف

في رقة الياسمين

يدور مع الحب

يحكي

رؤى العدل للبائسين

وكم حسبوا أنهم قيّدوك

فما زدت إلا غنى ومضاء

سيبقى غناءك

شعلة عزم

وإلهام حب

ونبع صفاء

إليك دموعي

قلادة زهر

تؤانس غربتك الشاردة

وتدعوك أن تقتفي دربنا

لتؤنس وحدتنا الباردة

وفي هذه السطور تتحدث الشاعرة عن دوره فيض أحمد فيض ودور شعره في إيقاذ الوعي ونشر العدل رغم مايعانيه من ظلم وقيد لشعره , ومن هنا ترى في شعره قوة السيف ورقة الياسمين إذ شعره يعبر عن رقة قلبه وعن تأثيريه القوي في المتلقي , ينبض شعره بالحب كما ينادي بالعدل سيبقى شعره وغناءه شعلة للبائسين وإلها للمحبين وهذا هو دور الشاعر المؤثر في قرائه ومتلقيه وهذا يؤكد دور الشعر و تأثيره في المتلقي .

ثالثا: الوظيفة القومية" الوطنية":

وقد يلجأ الشاعر إلى إتخاذ شعره كمنبه قومي يستنهض به همم شعبه ويدعو لهم ويوجه لهم رسالة تحفيز لكي يكون لهم مكانا كبيرا في هذا الوطن وهذا العالم فيصدوا العدو و يقهروه ففي قصيدتها "ذكرى جواد حسني" تحاول الشاعرة أن تلقي الضوء على صفات العدو فتحفز أبناء الوطن لحربه والنَّيل منه و من غدره وهذه وظيفة قومية توجيهية تأثيرية ففي قولها تصور الفرنسيين وقد لجأو إلى التعذيب جواد حسني و الانتقام منه بالكهرباء والضرب المبرح و قتله بالرصاص و إلقاءه في البحر مصورة ذلك في قولها:(١٦)-

في فجر يوم أسود الألوان

سماؤه تلفها الأجفان

قالت الطغاة للبطل

أذهب فأنت حره...

يا ليته يطيق أن يسير

الجوع و التعذيب لم يترك بجسمه النضر

ثمالة تحمله لأفقه الأثير...

فجاء جلف من جنودهم غليظ

وجوه للشط في حظو وجيز

ومفاجأة من خلفه رموه

بطلقة من غدرهم رموه اصحوه

و في رحاب الموت أطلقوه

ياللوحوش البيض في العصر الجديد!

يا ضيعة الإنسان يا نقد العهود!

خافوا يقصّوا خزيهم على الوحود

لم يعلموا أن الدماء في الجدار

تحكي ندالة الوحوش زراعة الإصرار

و قد صورت الشاعرة اليوم الذي حدثت فيه الحرب بالفجر الأسود لشدة ما مرت به البلاد و أن السماء كأنها قبر يضم الأكفان التي تحمل الشهداء و قد حاولت أن تصور مدى ما فعله العدو بأبناء الوطن فخلقت ذلك في حوار وهمي أظهرت فيه مدى مافعله المحتلون في أرض البلاد حيث كَثُرَ القتلى و امتلأت الأرض بالأكفان وعمَّ الجوع و التعذيب في كل مكان وهذا تصوير يبين شراسة المحتل فيصير في أبناء الوطن الحميّة ضد المحتل فينهضوا بحرية وهذه وظيفة قومية يقوم بها الشاعر بدور الداعية الذي يستنهض الهمم ويصبر الدوافع لتحقيق أماني الوطن في فترة من فترات العدوان.

وفي تصوير الجنود لجأت الشاعرة إلى اختيار مسميات بعينها وهي "جلف وغليظ و جرَّه ورموه بطلقة و عذرهم و الوحوش" ثم صورت المعاني الإنسانية المهدورة بهم و تمثلت هذه المعاني في "ضاع الإنسان ونقض العهود" ثم صورت أيضاً دماؤه وقد انتشرت في كل مكان و كأنها تقول يا أبناء الوطن هبّوا لنجدة بلادكم وحاربوا عن أوطانكم وهنا أدَّت وظيفة الدعوة القومية.

وقد ختمت قصيدتها بقولها(١٧):-

جواد يا طفلي الحبيب لم تزل تعيش

في خفقة الأمواج في اختلاجة الشجر

في نصرنا في مجدنا النصير

في يومنا العزيز في الغد الكبير

فهي تحدثت إلى جواد حسني لإنه رمز لكل الشهداء ومن ضحَّوا بأرواحهم خدمة لوطنهم و تضحية في سبيله.

و في قصيدة "الصحراء" نجد أمامنا رمز المتكلم و هو الشاعرة المتحدثة ورمز المخاطب وهي الصحراء الصفراء المسمومة ونجد الضمائر كلها تشير إلى هذه الصحراء في كلمة "أهواءكي – مرجي–دربي" بين ضميري كاف المخاطب وياء المتكلم.

ونلاحظ أن ريح الصحراء الصفراء هي صحراء جرداء قاحلة وهوجاء مجنونة بينما من تنادي بالدفاع عنه هو الموج الأخضر والنبت العض والوادي الأخضر وهنا يتبين لنا أن الوادي والنبت الأخضر الناعم يمكن أن يسير إلى الأجيال الجديدة أو أبناء الوطن أو الطلاب أو المتعلمين عموماً و تشير الريح الصفراء إلى القيم الهدَّامة والأفكار المسمومة والجهل والرجعية إذن الشاعرة تدعوا إلى مواجهة الجهل والتطرف والتخلف لما له من حظر على النشأ والطلاب ولما له من أثر على ضرب النهضة وتحقيق التقدم ولذلك تخاطب الشاعرة هذه الريح بقولها–:

ياريح الصحراء الصفراء المسمومة

ردي أهواءك عن مرجي الأخضر

عن مرجي الريان

ردي أهواءك عن دربي،

الناعم في ظل النسيان.

ومن بين القصائد التي تعبر فيها عن الروح القومية وحبها لمصضر وتمنياتها لها بالنصر قصيدتها الرائعة وذبك في ديوان " أن ألمس قلب الأشياء" وتقول فيها([١٨]):

يقول لي:

هل نغير الحديث أنشيدينا أغنية

عن النجوم , عن مرابع الزهر والمطر

يا صاحبي

كيف أغني للنجوم

ودونها ستائر الهموم

كيف أغني للمطر

قد جفّ في العريش في نابلس في القنيطرة

إن هذه الإفتتاحية التي تبدأ بها الشاعرة قصيدتها الطويلة والتي وصلت إلى ثماني فقرات شعرية وكتبتها في أغسطس-أكتوبر ١٩٦٧ أي بعد النكسة وبعد أن ضاعت كثير من البلاد ووقعت في الإحتلال الإسرائيلي في سيناء وفي فلسطين وسوريا والأردن , وتبدأ الحديث بحوار بينها وبين طبقة من المثقفين الذين لا يعتيهم إلا شعر الحب والوصف والجمال وهم بعيدون عن الشعر الوطني الذي يتغنى يقضايا الوطن ومشاكله و قد تعرض لزلزال النكسة التي أفقدته بعضا من اللاد والمناطق التي إحتلتها إسرائيل .

إن الشاعرة تحاول أن تبين ما أصاب الأمة العربية وقام بشرخ في الثقافة العربية بين الوطنيين و اللاوطنيين من المثقفين في ذلك الوقت , وهي تخرج ذلك مستخدمة قناع الحوار الذي

يستخدم التصوير الكنائي في (أنشدينا أغنية – عن النجوم عن مرابع الزهور والمطر) وهذا كناية عن شعر الحب والوصف في سياق تعاني فيه الأمة من الهزيمة .

وكذلك قولها "قد جف في العريش في نابلس في القنيطرة " وهي كناية عن فقدان هذه البلاد بعد الهزيمة مما يستوجب إنشاد الشعر الوطني الذي يثير الهمم.

وفي هذه القصيدة أيضا تصرخ الشاعرة في الشعراء المزيفين الذين لايكتبون إلا عن الحب والنساء والجواري ومن أشهرهم "نزار قباني" والذين لا ينتبهون إلى ماتمر به الأمة وتقول في الفقرة الخامسة([١٩]):

ينعق ناعق الغربان في بلادنا

يتيه في الملابس المذوقه

يشرع سيف النقد والبطولة المصطنعة

يظن أنه على الطلول فارس الفرسان سيّد للمعمعه

فوق جراح أمتي

يبصق أحرفا مريضة مزيفة

ياشاعر النهود والقدود والجوارب الممزقة

بعض أسى بلادي من لحونك المهترئه

دع الحساب والعتاب للذين أهرقوا حياتهم

كي يخلقوا مستقبلا

ممن أراقوا دمهم

على تراب أرضنا المستبسلة

ممن تراموا في السجون والمنافي والصحاري المحرقة

لا في المخادع المرفهه

ياصانع "العبادات" من الجلود القذره

وباني " الأهرام" ملهاة النفوس العكره

نحّ حروفك المدنسه

عن عرض أبنائي ,عن أرضي المقدسه

السل والزهرى في كهوفك المضببة

شباب أرضي طهرتهم شمسنا المحترقه

فكم بنوا مجد الحضارات وأعلوا الكلمة

وفي هذه القطعة الشعرية توجه الشاعرة سيف النقد إلى الشعراء الذين لا يهتمون بالقضايا الوطنية بل إنهم يكتبون الشعر في القضايا الهامشية كشعر الحب والنجوم والنساء ووصف الطبيعة ولا ينتبهون إلى أن ابشعر رسالة قومية توجه الأمة والمتلقي إلى أن يكون إيجابيا في متابعة قضايا الوطن.

وتوجه الشاعرة هجاء لازعا إلى الشعراء الذين لايهتمون بقضايا الوطن خاصة "نزار قباني" الذي تقول فيه:

فوق جراح أمتي

يبصق أحرفا مريضة مزيفة

ياشاعر النهود والقدود والجوارب الممزقة

بعض أسى بلادي من لحونك المهترئه

ثم وجهت مدحا قويا وإعجابا بالشعراء الذين اهتموا وعاشوا قضايا وطنهم وتقول فيهم:

دع الحساب والعتاب للذين أهرقوا حياتهم

كي يخلقوا مستقبلا

ممن أراقوا دمهم

على تراب أرضنا المستبسلة

فهي تمدح هذه المجموعة المثقفة التي أهتمت في شعرها بقضايا الوطن وهي تنسج مستقبلا مشرقا للوطن تتحرر فيه أرضها وتقوم فيه بتحقيق التنمية الكبرى .

إن الشاعرة لتعبر عن رسالة توجهها إلى المتلقي وهي أن الشعر ليس تعبيرا عن الحب والغرام والنجوم فقط ولكنه أيضا إثارة للهمم وإستنهاض للمتلقي ومخاطبة المتلقي بما يجب أن يفعله تجاه وطنه وأبناء وطنه .

إن الشاعرة لم تنس أن تشيد وتشير إلى كثير من الصور الشعرية التي تؤيد بها فكرتها في مهاجمة شعراء النجوم والوصف إذ ترى أن الأمة مجروحة على سبيل الإستعارة التصريحية , ثم تذكر على سبيل الكناية " ياشاعر النهود والقدود والجوارب الممزقة " , و" ياصانع العباءات من الجلود تاقذرة " وكذلك في قولها " نحّ حروفك المدنسة " على سبيل الإستعارة .

لقد وفرّت الشاعرة في هذه المقطوعة رسالة توجيه إلى المتلقي وإلى الشاعر الذي لا يفهم دور المتلقي ولا دوره الوطني فكرة و صورة فكسبت لقصيدتها التأييد الجيد حيث انتشرت هذه القصدة في وسائل الإعلام في وقتها .

رابعا: الوظيفة السياقية ((المرجعية))

هى الوظيفه التى ترتبط بالسياق المحيط بالعملية الكلامية أو ترتبط بالمرجع أو الموضوع المتحَدث عنه؛ فاللغة تُحيلنا إليه وترمز اليه، فهى تشير وترمز إلى الموجودات أو الاحداث ولابد أن ننتقل من هذه الرموزاللغوية إلى الأشياء والموجودات والموضوعات التى تتحدث –عنها –حتى فهم هذه الموضوعات .. ومن هنا فان الوظيفة السياقية هي التى تدور حول النص وتحيلنا الى موضوعاته وتحيلنا أصلاً الى الموقف وما يحيط بهذا الموقف الكلاسي من سياق , قد يكون هذا السياق مرتبطاً بالعملية الكلامية ومحصوراً فيها بشكل مصُغر، وقد يكون مرتبطاً بمايدور حول العملية الكلامية في المجتمع والمحيط العام، وهو مايسمى بالمحيط الثقافى ويهمنا هذا السياق الثقافي التى تدور حوله نصوص ملك عبد العزيز .

وتتنوع هذه السياقات الثقافية من سياق يدور حول الزات وتاثرها بالمجتمع الاصغر المحيط بها من أسرة أو مدرسة أو عمل تقوم به أو وظيفة تكون فيها . وقديكون السياق محيطاً بالذات ,الشاعرة والكاتبة ، وقد ويكون أوضح من هذا شاملاً الوطن الأكبر والعالم ويشير الى رؤية الكاتب فيما يسمى برؤية العالم .

والسياق هنا سياقان: سياق أصغر وصياق أكبر .

السياق الاصغر:هو السياق المحيط بالعملية الكلامية والبيئة والمجتمع الذى تعيش فيه الكاتبة، ويشمل أُسرتها التى تركتها في المنصورة، كما يشمل فيه أسرتها وعلاقتها بزوجها "محمد مندور"، ويشمل علاقتها بعملها في الصحافة والاعلام والأدب.

السياق الأكبر: هو السياق الذي يتناول القضايا والمشاكل والثقافة بوجه عام، فيما يخص مجتمع مصر والأمة العربية والعالم بشكل عام، وهو مايُعرف بالسياق الثقافي (٢٠).

وقد تطرقت الشاعرة في مراحلها الأولي إلى السياق الأصغر المحيط بها، بينما تطرقت بعد زيارتها لقبو الشهيد" جواد حسني " إلى السياق الأكبر وهوالقضايا الثقافية العامة .

ومن بين القصائد التى تتناول فيها السياق المحيط بها قصيدة "روح حائرة"، وهي تتحدث في مقارنة بين عوالم الطبيعة الثابتة وروحها الحائرة وقلبها المعذب، وهي قصيدة مقسمة إلى مقطوعات، ودائماً ما تختم حديثها في كل مقطوعة عن فؤادها المعذب وروحها الحائرة . ويبدو أنها تعاني من سياق محيط خاص بها يتمثل في وحدتها في القاهرة كطالبة مغتربة بكلية الآداب جامعة القاهرة بعيدة عن أهلها في المنصورة ثم يزداد الأمر سوءا بوفاة والدها ووالدتها، وهو ما أدى باحساسها بالوحدة، ومن ناحية أخري احساسها بنقصها الثقافي ومحاولتها تثقيف نفسها .. وقد اثر ذلك فيها فجعلها شاعرة تعبر عن نفسها بالشعر الهامس الجميل الذى يمثل معادلة وغذاء ثقافيا يعادل آلامها ومشاعرها الجياشة ويكون معُينًا لها في عذاب قلبها وحيرة روحها؛ لكنها لاتزال ظمأى تحب الإكثار من المعرفة وتهدئة القلب والروح .

وفي ذلك تقول في بداية القصيدة تقارب بيت طبيعة الكون الثابت وطبيعتها المتغيرة فتقول (٢١):-

ياروحي	الحيرى	ماذاء	يغذيك ؟
فؤادى	النضرا	عذبته	فيك
الزهر	بسام	والطل	رقراق
الفجر	أحلام	والنهر	دفاق
ياروحي	الحيرى	ماذا	يغذيك؟
فوادى	النضرا	عذبته فيك عذبته فيك	

حيث تدير شعاراتها المكنية في خطاب الروح الحيرى وفي الفؤاد المعَذب؛ إذ تشخص الروح وتصفها بالحيرى وتصف الفؤاد بأنه رجل مُعذب بينما في الصورة النقيضة نجد الاستعارة المكنية في الزهر بسّام وفى الِّطل رقراق في تصوير الزهر بالانسان المبتسم والطلل بالطير الرقراق أو الماء الرقراق والفجر بألاحلام ..ونجد تركيزها لحيرتها في الاستفهام (ماذا يغذيك) وكان النفس والفؤاد والروح نفوس جائعة تطلب المزيد من الطعام وطعامها الأخلاق والأدب والشعر .

إن العذاب الذي تعيش فيه نفسها الحيرى لايبدو إلا من هذه المفارقة بين نبات الكون ونظامه الجميل وبين اضطراب النفس والروح عند الشاعرة ملك عبد العزيز ..ولذلك تتضح طبيعة المشكلة التى تعاني منها روحها وقلبها المعّذب، وهى تكشف لنا أنه المزيد من الثقافة والمزيد من العلم، وهى تخفي آلاماً نفسية بسبب حياتها الخاصة حيث تقول (٢٢):-

البرق ضحاك: بلمحه الساري

والغرب سفاك :لذوبه النارى

ياروحي الحيرى : ماذا يغذيك ؟

فؤادى النضرا : عذبته فيك !

أوردتك الحسنا : أنهلتك الشعرا

أسمعتك اللحنا : علمتك السحرا

وانت ياروحى : جرعتنى المرا

مازلت في ظمأ :لا يعرف الصبرا

وفي هذه المقطوعة أيضاً تلجأ الشعرة ملك عبد العزيز للاستعارات المكنية، فالبرق ضحاك على سبيل الإستعارة المكنية، فالبرق ضحاّك كالشخص الضحاك وفيها تشخيص، وكذلك الغرب سفاك وفيها تشخيصى ..وفي مقارنتها لهذه الاستعارات نجد روحها الحيرى المعذبة على سبيل التشخيص والاستعارة المكنية وكذلك فؤادها المعذب؛ إلا أنها تصرخ بصفة العذاب في نقص الثقافة والتعليم، وترى أن الحل هو الشعر والدواء، أي هو الشعر وسماع الموسيقى التى تعلم السحر حتى تهدأ النفس والروح التى جرعت الشاعرة المر، غير أنها لازالت في حاجة ماسة الى دواء الثقافة ولاتستطيع الصبر على ذلك تهدئة لتفسها مما تعانيه في حياتها الخاصة.

إن الشاعرة تعيش في بداية حياتها الأولى في القاهرة وقبل زواجها كانت تعيش حالة من الغربة والوحدة، وقد أورثتها هذه الغربة وهذه الوحشة نوعاً من الحزن ..ومن هنا تخاطب نفسها وقلبها الغرير الضجرفتقول (٢٣):-

مازلت تحلم يا فؤادي الغرير ؟ ليت الأماني تبث فيك السرور
ليتك تقضى العمر في فرحة يهنيك لحنك ثم لحن الطيور
لاتحسبن الحزن يقضي على شبابك الغض تذوى الزهور
فالحزن يشجي أعيني والأسى فتسكب الدمع كدر نضير
والدمع ياقلبي كقطر الندى يرطب الزهر فيزكو العبير

ففى هذه المقطوعة تحاول الشاعرة مخاطبة قلبها الصغير الشاب متمنية له تحقيق الأماني، ولذلك تشخصه وتناديه على سبيل الاستعارة المكنية، بل تشخيص الأماني وتطمئن القلب بأن الحزن لايستطيع القضاء عليه ولاعلى شبابة وكأنه زهرة لاتزوي بسبب الحزن، وترى أن الدمع الذى يغذيه الحزن سيصبح قطرة من قطرات الندى ترطب الزهور وتفوح بالعبير .

إن الشاعرة في وسط ماهي فيه من حزن شديد ومن ظروف محبطة وخانقة ترى في الحزن أملاً وفلسفة تجعلها تطلق عنوان قصيدتها " فلسفة الحزن "" ..فالحزن ليس هادماً للنفس لكنه يُنمي النفس، ويقوى دعائمها بدلاً من تحطيمه لنفسها . ولذلك تخاطب قلبها مرة أخرى في آخر القصيدة فتقول ناصحة (٢٤):

لاتيأس قلبي إذا ما عدَت عليك احداث الزمان الجسور
بل احمل العبء ولاتبتئس فقد يرجى النجح بعد الثبور
وجالد الدنيا فما نالها سوى قوى الحزم شهم الضمير

ففى هذه الابيات تخاطب الشاعرة قلبها مرة أخرى ناصحة طالبة منه ألا ييأس مما يحيط به من أحداث الزمان، وهي استعارة مكنية أخرى صورت فيها ما تتعرض له من ظروف خاصة بأحداث الزمان السريعه القوية التى تعطلها .

وفي قصيدتها "تحدي " نجد هذه الروح ماثلة في القصيدة في ظروفها المحيطة بها التي تبدو ريحاً تقصف بالصواعق وأرض تزلزل وتقذف بالشرر والأثقال كالبراكين ونار تزفر وترمي بشررها

تحرق الماء والحجر وأناسي يزيدون ويزبدون ويشكون ويضطربون.. أما أنا فأنا ضعيفة غير أني قوية في مقاومة ظروفي الخاصة المحيطة بي وذلك في قولها (٢٥):

فلتعصف الريح فلتقصف فلتقذف الأرض بالاثقال والشرر
فلبهدر البحر فلتهد رغوائله أنا الضعيفة فوق البحر والقدر!
فلتزفر النار فلتصرخ مراجلها فلتحرق الكون من ماء ومن
فليزبد الناس فليرغو ويضطربوا أنا الضعيفة فوق النار والبشر!

وهذه القطعه مبنية على الاستعارات في تصوير الريح والبحر والنار بكائنات قاصفة هادرة وفي المقابل قوه الشاعرة القادرة على تحمل النار والبشر .

وفي آخر القصيدة تعبر عن صلابتها في مواجهة ما حولها ظروف قاهرة جعلتها تصارع الدهر وتقاومه بصراعها وصبرها عند ما تقول(٢٦):

ياويحهم كيف ظنو بي وهناً أنا القويه رقم المظهر الخضر
ماأعزب الجهد مني في مقارعة وما ألزصراعاً بعدة ظفرى
أصارع الدهر رقم الدهر اصرى ولوبزلت دم ينساب كالنهر
هذى الدما التى تنصب اعز عندي مما انساب للخقر

ففى هذه الأبيات تصرح الشاعرة بأنها هي الأقوى رقم مظهرها الخضر، وهو تشبيه المظهر بالنبات الأخضر وصغر سنها؛ بل أجدها في أسلوب التعجب تتعجب من جهدها في مقارعة ومقاومة الدهر، وتتعجب من لذة الصراع مع ظروفها الخالصة بل تصارع الدهر وتصرعه على سبيل الاستعارة المكنية أيضاً ..ورغم ما تواجهه وما تلاقيه من صراعها وصبرها على الاحداث وما يظهر منها وينزف منها من دماء الا أنها تخرج منتصرة .

وعلى هذا نجد أن الشاعرة على مستوى الذات تصارع سباقاً داخليا ذاتياً يحيط بها وبعمليتها الكلامية، ويبدو في شعرها، وهو ظروفها الخاصة التى تعيشها في القاهرة في مقتبل حياتها الجامعية .

السياق الثقافي:-

إن السياق الثقافي هو سياق أكبر يحيط بالعملية الكلامية، ويتعلق بالمحيط الوطنى الذى يعيش الشاعرفي صراعه مع العالم الأكبر المحيط، وقد عاشت الشاعرة هذا المحيط الثقافي في شعرها التحرري، وقد بدأ في مرحلة أخرى من حياتها عندما وقفت أمام (قبو الشهيد جواد حسني)، وأدركت المسئولية الوطنية والسياق الثقافي القومي المحيط ببلدها والعالم العربي وثقافتها بالإنسانية .

وفي قصيدتها " وجه البراءة " إلى شهيد في اليمن أجد هذا السياق الثقافي، ويبدو أنها كانت تقصد به اللواء (على محمد عبد المغني)، وهو رجل عسكري وثائر يمنى من قيادات ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م، وهو أول شهيد فيها اسمه علم في تاريخ اليمن، وقد شارك في تاسيس الظباط الأحرار عام ١٩٦١م، وكلف بقيادة حملة عسكرية إلى منطقة حريب في مأرب لمواجهة الحشود الملكية بقيادة "الحسن بن يحي حميد الدين "، وقد قتل في هذه المعركة في اكتوبر ١٩٦٢م، واعتبر الكثيرون أنه القائد الفعلي لحركة ٢٦سبتمبر اليمنية (٢٧) ..ومن صورته التى نشرتها الوكيديا نجد له وجها طفولياً واضح القسمات، وهو الذي شد الشاعرة،وقد رأته وهي تقرأ الصحف اليومية المصرية التى كانت تتابع أخبار اليمن في ذلك الوقت، وهو نفس الوقت الذي كتبت فيه الشاعرة هذه القصيدة وديوان بحر الصمت؛ فقد كتبت هذا الديوان مابين عامي ١٩٦٤—١٩٦٦م وضمت اليه بعض القصائد التى كتبت بين عامي ١٩٥٨ -١٩٦٣م وهي التي لم يتيح لها أن تظهر في الديوان السابق "قال المساء " ..

والشاعرة في هذه القصيدة تركز على الوجه الوسيم البرئ الذي رأته في إحدى الصحف اليومية لهذا الشهيد على عبد المغني ولذلك تقول (٢٨):-

لا أستطيع أن أزيح رسمك الوسيم

عن خاطري

لا أستطيع

لا أستطيع أن ازيح عن عيني وإن طال المدى

وجه البراءة الصبوح

وجه الصبا

يطل منه طفل الأمس...لا، لا أستطيع

وكيف أنسى وجهنا يا طفلى الوديع

ما تراه الشاعرة من الشهيد رسمه الوسيم، وما أنطبع في ذهنها أن هذا الوجه وجه البرى، هو نموزج الوطن البرئ الحر الذى أوكلت إليه مهمة تحرير الوطن من الرجعية ، ثم اشارت الشاعرة إلى توجهها القومي وهو أن عالمنا العربي لا يقتل فيه الأخ أخاه سواء من الثائرين أو من أتباع الملك يحي حميد الدين وابنه محمد البدر حميد الدين، فكل هذا إزهاق الانسان العربي وليس فتحاً جديداً، وإهدار لكرامة الانسان وتقديمه كقربان لعزة المجد، وذلك في قولها ([٢٩]):

حين ذهبنا أمة محشودة

لغير ما ثمن

لغير مغنم

حتى لغير أحلام بأمجاد تعيدها القرون

لغواً وزهواً زئفاً

فكم أملو سمعنا عبر السنين

بما رووا عن فاتح وفاتح رجيم

لكن ذهبنا كي نعيد الإنسان

كرامة الانسان

وكان قربانا لعزه المجيد

وجه البراة الصبوح

ياطفلى الوديع

ولعل مايبدو من تصوير في هذه القطع أن تركز على التشبيه؛ إذ تشبه الشهيد اليمني في وسامته بطفلها الوديع ، وهو ما جعل الاستاذ حلمي سالم يستشف أنها كانت تقرن بين هذا الشهيد اليمنى بابنها الطيار ماجد مندور الذى استشهد بعد ذلك في حرب ١٩٧٣م، وكأنها كانت تنعي ولدها ماجد قبل استشهاده بسنوات (٣٠)، وذلك في قولها (٣١):-

وافرحى يا طفلنا الحبيب

مازال في قلوبنا براءه الإنسان

ذلك الذى يحق لنا أن ندعوه بالإنسان

وتقول أيضاً (٣٢):-

لو لم تكن قرين طفلي الحبيب

على ذرا الجبال في اليمن

لو لم تكن قرينه في وجهه الصبوح

وقلبه البرئ

لكنت –لا أزال –يا صغيرى الحبيب

لا أستطيع أن أزيح رسمك الوسيم

عن خاطري ....

لأنه ياطفلنا الوديع –وجهنا

وجه البراة الصبوح

وفي قصيدتها (بطاقة إلى الفدائية اللبنانية الشهيدة سناء مهيدلى) قرأت الشاعرة عن سناء مهيدلى في الصحف، وعرفت أنها فتاة لبنانية من مواليد عنقون بقضاء صيدا في جنوب لبنان، وكانت من كوادر الحزب السوري القومي الاجتماعي في لبنان، وكانت أول فتاه فدائية تقوم بعملية استشهاية ضد جيش الاحتلال الاسرائيلي جنوب لبنان (٣٣) .

وقرأت الشاعرة في الصحف أن سناء مهيدلي قادت سيارة بيجو مفخخة بأكثر من ٢٠٠ كيلو جرام من مادة تي إن تي TNT شيدة الانفجار، وأنها فجرت هذه السيارة على معبر باتر جزين، وفجرت نفسها وسط هذا التجمع الإسرائيلي، وتسببت في وفاة ضابطين وإصابة جنديين إسرائليين، وأنها أصبحت أشلاء، وقد ردت إسرائيل أشلاءها وأعادتها إلى لبنان بعد مفاوضات جرت بين حزب الله والحكومة الإسرائلية فى عام ٢٠٠٨م، وقد كتب الشعراء قصائد عن هذه الشهيدة العظيمة؛ ولذلك تناولت الشاعرة وجهها الذي يبدو من خلال الصحف حيث قالت (٣٤):

يشرق وجهك

من بين الظلمة

من بين الأستار

موسيقى

نجوى

أشعار

ياملهمة الثوار

أن الموت حياة الأحرار

فى هذا المقطع تشبهها بالملهمة للثوار على سبيل الاستعارة التصريحية، وشتان بين ملهمة الحب وملهمة الثورة .

وقد جذب الشاعرة تناثر أشلائها في الانفجار فجعلته أشجاراً تنبت وزهوراً ونوارا، و طيورا تغنى أغاني الحرية وأغاني الأبرار، بل جعلت أشلاءها كالنجوم والنضار، وتصعد إلى الانجم والفلك الدوار، وكل هذا يجعل صورة أشلا ئها صورة ممتدة حيث تقول (٣٥):

أشلاؤك تنبت

حتى في الأحجار

أشجاراً وظلالاً

وثمار

يزهو فيها النوار

وتغني الأطيار

أغنية الحرية

أغنية الأبرار

أشلاؤك تصّاعد

في الأفق

بخورا ونضار

تتحد بحسم الأنجم

في الفلك الدوار

نورا يهدي

من رام طريق العزة

من رام الإصرار

وتستلهم الشاعرة شهادة سناء مهيدلي الدعوة إلى الوحدة العربية في محاربة العدو، وتجعل من حزنها غصة في القلب على سيل التشبيه وظلاما سود قلبها في قولها (٣٦):

وفي الأحشاء

ماذا اكتب

واللفظ عصى ومهان

وظلام الإحباط

يجثمع فوق الصدر

وفي الوجدان

ماذا اكتب باصافية القلب

يابنت العشرين

وبنت الحب

وهي بهذا تدعو إلى المقاومة العربية للاحتلال في ظل وحدة الأمة واعادة تماسكها حتى تعود إلى سابق عهدها وتاريخها المجيد، وهذا من المد الثوري الذي تحولت إليه بعد قصيدة جواد حسني؛ الا أن مشبه بهمسها في اختيار الألفاظ واختيار الصورة وامتداد الصورة .

******

ومن بين القصائد القومية ذات الاستعارات المكنية والتصريحة والتى تناولت الجانب القومي قصيدة (الفارس)، وقد كتبتها ملك عبد العزيز في رثاء الوزير السوري سليمان نجيب الخش (١٩٢٦-١٩٩١)، وذيلت العنوان ب " إلى الوزي السوري الراحل ابن الجبل المناضا من أجل القومية العربية: سليمان الخش"، وهو أديبر ورجل فكرى وسياسي سوري من مصياف، ولد في دمشق عام ١٩٢٦م، ودرس في جامعة دمشق في كلية الآداب في قسم اللغه العربية، وتخرج منها وعين محاضرا فيها، وقد أسهم في تأسيس اتحاد الكتاب العرب، وكان رئيسا له ثم عين وزيرا للتربية في حكومتي يوسف زعين الثالثة –والرابعة في حكومة نور الدين الأتاسي الأولى، وهو مؤلف (كتاب الفتح العربي الإسلامي في سيرة مازن بين الريب المازني)، ومترجم عن الفرنسية لكتاب الحروب الصليبية ' وهو شاعر وناقد، وله مجموعة من الدرامات والقصائد وتوفي ١٩٩١م عن خمسة وستين عاماً (٣٧) .

وقد شدت الشاعرة ولادة الكاتب السوري سليمان الخش في مدينة مصياف، والتى تقع في غرب مدينة حماة، وترتفع عن سطح البحر بما يقارب ٤٥٠متر، وتحيط بالمدينة مجموعة جبال أهمها جبل المشهد، وجبل عين الخنازير(٣٨)؛ ومن هنا أطلقت عليه الشاعرة ابن الجبل .

كما وجدت فيه المناضل الذي يدعو إلى القومية العربية والوحدة العربية فيما كان بين سوريا ومصر، ومن هنا جعلت منه فارسا صاحب رسالة وسيف قد؛ إلا أن سيفه قد قُد، وضاعت مآثره أي صفاته الحسنة ونبله بسبب العداء مح الانفصاليين، ولذلك قالت فى قولها (٣٩):

أيها الفارس من ذا رجلك

من قباب الجبل الشامخ

إلى الجب العميق

كيف قدوا سيفك البتار صدقاً

ورضوا

أن يواروا النبل

في حفر الطريق

وهي تقول أيها الرجل الشامخ كالجبل الشامخ، وكالفارس العتيق، كيف انتهيت وانكسرت قدراتك، واخيراً دفنوك في حفر الطريق، وهي تشير هنا الى تصويره بالفارس على سبيل الاستعارة وتصويره بالجبل، والكناية عن تكسير سيفه يعني تكسير قوتة وانتها أجله .

وتشير إلى فكره القومي، وهي وحدة العرب والرجوع إلى أمجادهم الأولى أيام الخلافة الأموية والعباسية، وأن هذهالدعوة لاقى بسببها الأهوال والمحن ذلك في قولها (٤٠):

حالم أنت بمجد الأولى

أنبتوا العز على طول الذمن

غير أن الدهر لم يمهلك لم

لم تشاهد غير أهوال المحن

لم يزل حلمك يحيا بيننا

وينبض الحب

نغذو نريق

حيث أجد أنها تصور العزة بنبات يعلو على شكل الاستعارة التجسدية المكنية، وكذلك الدهر لم يمهلك، وكذلك الاستعارة المكنية (تشاهد أهوال المحن) و(حلمك يحيا بيننا)، وكلها استعارات مكنية الغرض منها التشخيص والتجسيد، وكلها تتحدث عن دوره القومي في النداء والدعوة إلى الوحدة العربية بين سوريا والدول العربية حتى أنه كان وزيراً للتربية والتعليم، وكان يدعو إلى هذا ..إلا أنه قضى نحبه، ولم تتحقق القومية العربية على يديه .

ومن بين القصائد القومية التى كتبتها عن القومية العربية والوحدة قصيدتها (رسالة إلى القدس) تستنهض فيها الهمم لتحرير مدينة القدس، وتستحث الفلسطينيين إلى طلب التحرير، في هذه القصيدة ترد الاستعارة حيث تصور القدس شخصاً وتناجيه على سبيل الاستعارة المكنية، وتقول (٤١):-

ما الذى تبغين ياقدس

وماذا تأملين

طال وقت اللغو

واستشرى ثفاء الكلمات

يخبئون السم

في قلب الوعود الكاذبات

وعلى الصبر تعودت

وحمل النائبات

انفضى الذل وقومى

ناضلي

ليس كالفعل مقيل العثرات

ففى هذه القطعة لجأت الشاعرة إلى مخاطبة القدس على سبيل الاستعارة المكنية التشخصية، وتتحدث عن الوعود الكاذبة والخطب الرنانة التابعة لمعسكري الشرق أو الغرب وعلى الصبر الذى تتحمله القدس تقول (٤٢):

نزعو من أهلك الغرقى

هويات البقاء

فمضوا في التبه

لا مأوى ولاخيط رجاء

انفضى الذل وقومى

ناضلى

ليس كالفعل

مقيل العثرات

وفي هذه القطعة أيضاً نجد بعضا من الصور الاستعارية والمجازية، ففى قولها : (داست الأقدام في قدس حماك)، إذا استخدمت الأقدام بدلا من كلمة العدو، وهو مجاز مرسل علاقته الجزئية ، وهو يركز الإهانة في دنس الأقدام، وكذلك قولها: (أنفاس الحياة) حيث صورت الحياة بإنسان له أنفاس على سبيل الاستعارة المكنية،وكذلك قولها: (انفضى الذل) حيث صورت الذل بغبار وهي استعارة مكنية، وكلها صور تتناثر في القصيدة تدل على ما حاق بأهل فلسطين من ذل ودنس واغتصاب لأرضهم، وما حدث لهم من ضياع ومتاهة وتفرق فى مختلف البلاد، كما لو كان هذا التفريق في تيه، وهكذا في هذه القطعة تلجأ الشاعرة الى صيحة العروبة والدعوة القومية للوطن الغالي العزيز القدس التى تكني بها عن فلسطين ككل .

وهكذا من خلال الصورة الشعرية التى تميل غالباً إلى الاستعارة المكنية ظهرت دعوات الشاعرة إلى الدعوة الى الوحدة الوطنية القومية العربية واسترداد الحقوق المغتصبة ووحدة الأمة العربية .

الهوامش:

[١] – ملك عبد العزيز: الأعمال الكاملة للشاعرة ملك عبد العزيز: القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٢٠م ص٨٧-٨٨

[٢] –الأعمال الكاملة ص١١٨

[٣] – الأعمال الكاملة ص١١٩

[٤] –الأعمال الكاملة ص **١٤٥-١٤٦**

[٥] –الأعمال الكاملة:ص٢٢١

[٦] – الأعمال الكاملة ص ٢٨١

[٧] –الأعمال الكاملة–ص٢٨١-٢٨٢

[٨] –الأعمال الكاملة–ص-١٦١-١٦٢

[٩] الأعمال الكاملة:ض٢٢٢

[١٠] –الأعمال الكاملة:ص٢٢٢

[١١] – الأعمال الككاملة ص ٢٢٣

[١٢] –الأعمال الكاملة:ص٢٣٠

[١٣]– انظر موسوعة ويكيبديا

[١٤] –الأعمال الكاملة:ص٦٠٦

[١٥]–الأعمال الكاملة:ص٦٠٨-٦٠٩

[١٦] -الأعمال الكاملة:ص١٧٩-١٨٠

[١٧] -الأعمال الكاملة:ص١٨١

[١٨] -الأعمال الكاملة:ص٥٠٣

[١٩] -الأعمال الكاملة:ص٣٦٠-٣٦١

[٢٠] -ينظر إلى:فطومة لحمادي: السيتق والنص:استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي. مقال بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية –جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر العددان الثاني والثالث..

[٢١] -الأعمال الكاملة ص١٠٢

[٢٢] الأعمال الكاملة ص١٠٤-١٠٥

[٢٣] الأعمال الكاملة ص١٠٨

[٢٤] الأعمال الكاملة:ص١٠٩

[٢٥] -الأعمال الكاملة:ص١٣١

[٢٦] -الأعمال الكاملة:ص١٣٢

[٢٧] انظر موسوعة الويكبيديا الحرة

[٢٨] -الأعمال الكاملة:ص٢٩٥

[٢٩] الأعمال الكاملة ص٢٩٥-٢٩٦

[٣٠] حلمي سالم: رافقت مندور وزاحمت عبد الصبور .. مقال بجريدة الحياة السعودية ص١٨

[٣١] الأعمال الكاملة ص٢٩٦-٢٩٧

[٣٢] الأعمال الكاملة ص٢٩٦-٢٩٧

[٣٣] انظر موسوعة الويكيبيديا الحرة

[٣٤] الأعمال الكاملة ص٦١٣

[٣٥] الأعمال الكاملة ص٦١٣-٦١٤

[٣٦] -الأعمال الكاملة:ص٦١٥-٦١٦

[٣٧] انظر موسوعة الويكيبيديا الحرة

[٣٨] انظر موسوعة الويكيبيديا الحرة

[٣٩] الأعمال الكاملة ص٥٨٧

[٤٠] الأعمال الكاملة ص٥٨٨

[٤١] -الأعمال الكاملة:ص٥٤٩

[٤٢] -الأعمال الكاملة:ص٥٥٠

المصادر والمراجع:

*حلمي سالم: رافقت مندور وزاحمت عبد الصبور .. مقال بجريدة الحياة

*صالح عطية مطر: في التطبيقات الأسوبية القاهرة مكتبة الآداب د.ت

*ملك عبد العزيز: الأعمال الكاملة للشاعرة ملك عبد العزيز: القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٢٠م

*موسوعة الويكبيديا الحرة

..